

## الفصل الثالث

### موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية



## الفصل الثالث

### موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية

أولاً : موقف مصر من الثورة التي قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

لم تكد تمضى سنوات قليلة على فتح مصر حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على أثر تضافر عوامل مختلفة أدت إلى وقوع هذه الفتنة. تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة (٢٣ . ٣٥ هـ / ٦٤٣-٦٥٥ م) بعد موت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسار عثمان رضي الله عنه على نهج سلفه في أعمال الفتوحات الإسلامية ، ولم تكن تمضى سنوات قليلة على خلافته حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتله على أثر تضافر عوامل مختلفة أدت إلى وقوع هذه الفتنة كان من أهمها :-

وجدت حالة من التذمر في الدولة الإسلامية مجالا فسيحا في خلافة عثمان وذلك بعد أن بدأت تتوقف الفتوحات الكبرى ، بجانب لين الخليفة وتسامحه ، وبدأت حركة التذمر تسرى في الولايات الإسلامية المختلفة ضد الخليفة ، ولم تمض ست سنوات على حكمه حتى ترأس هذه الحركة رجل يهودي من أهل صنعاء أسلم زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو عبد الله بن سبأ ، وكان يعرف بابن السوداء ، ويبدو أن ابن سبأ كان من الذين أسلموا ليضلوا الناس عن الإسلام ويكيدوا لهذا الدين.

بدأ ابن السوداء دعوته بالحجاز ، ثم البصرة والكوفة والشام ، ولكنه لم ينجح في الحجاز أو الشام ، كما أنه طرد من البصرة والكوفة ، فجاأ إلى مصر ووجد بها مجالا لنشر تعاليمه ودعايته ، وإعلان الثورة ضد الخليفة<sup>(١)</sup>.

وخرج ابن السوداء للناس بنعمة جديدة غير التي جاءهم بها في الشام ، فألف حزبا بها واتخذة شيعة له ، وكان مما يخاطب به أهل مصر الآتي :

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ٧٢.

١. قال العجيب: من يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا لا يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، وقبلها بعض الناس من ضعاف الإيمان.
٢. روج بين شيعته نظرية الحق الإلهي التي أخذها عن الفرس ، واستند إلى أن عليا عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يستمد الحكم من الله.
٣. قال إن لكل نبي وصيا ، وعلي عليه السلام وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، ونادى بأحقية علي عليه السلام بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن عثمان رضي الله عنه قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول صلى الله عليه وسلم .  
ولابد أن ابن سبأ كان شخصية قوية جذابة جعلته يؤثر على العامة ، بل استطاع أن يجذب إليه كبار الصحابة مثل عمار بن ياسر ، الذي كان عثمان رضي الله عنه قد أوفده إلى مصر ليقف على حقيقة الثورة بها ، فبقى عمار بمصر ولم يعد للمدينة<sup>(١)</sup> ، وقد ساعد ابن السوداء في رواج أفكاره عدة أمور منها:

  ١. تبرم أهل مصر على عثمان رضي الله عنه وعامله عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وانضمام كل من محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر الصديق إليه ، فنجحت سياسته.
  ٢. أن المصريين كانوا أنصارا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .
  ٣. انشغال عبد الله بن سعد بن أبي سرح في حروبه الخارجية في إفريقية والنوبة وضد الروم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/٦٥٤م<sup>(٢)</sup> .

وعندما رجع والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح من حروبه رجع إلى الخليفة ، لأن الخليفة قد دعا الولاة جميعا أن يحضروا مؤتمرا بالمدينة ، وترك ابن أبي سرح نائبا عنه في مصر هو عقبة بن عامر الجهني ، وفي ظل هذه الظروف اندلعت الثورة في مصر ، واغتصب حكم مصر محمد بن أبي حذيفة ، وأعلن الثورة والعصيان على الخليفة

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ٧٣.

(٢) الكندي: ولاة مصر ص ٣٦، ٣٧ ، سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ٧٣.

عثمان رضي الله عنه ، وطرده عقبة بن عامر الجهني نائب الوالي في مصر ، ولم يستطع عبد الله بن سعد دخول مصر<sup>(١)</sup> .

وخرجت جماعة من المنحرفين على عثمان رضي الله عنه من مصر والبصرة والكوفة إلى المدينة ، كما توالى الثوار بظاهر المدينة ، وراودوا عثمان رضي الله عنه على أن يصلح من أمره أو يعتزل ، وكانوا قد وجهوا إليه اللوم في عدة أمور منها الآتي :

١ . كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه شديد الحب لقربته ، فاستغل ذلك البعض وتمكنت العصبية القبيلية من السيطرة على المواقع السياسية والمناصب الكبيرة كالاتي :

- أصبحت الشام خالصة لمعاوية بن أبي سفيان .
- فى مصر ولى عثمان رضي الله عنه أخاه فى الرضاع عبد الله بن سعد بن أبى سرح .
- فى الكوفة جعل أحد أفراد أسرته وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان له ماض بغيض فنفر منه أهلها .
- فى البصرة ولى عليها ابن خاله عبد الله بن عامر ، وكان حسن السيرة فهدأت أحوال البصرة .
- فى المدينة كان الخليفة قد أسند أموره إلى وزير من أهله هو ابن عمه مروان بن الحكم .

٢ . اتباع عثمان رضي الله عنه فى حياته الخاصة منهجا مغايرا لسلفيه واستمر على حياة اللين ، والتمتع بالطيبات .

٣ . اتجه إلى التوسعة على أقاربه ، وأغدق عليهم الأموال ، فاتهمه البعض بأنه ينفلهم من بيت المال .

(١) النلقشندى: صبح ، ج٤ ص ٣٨٦ .

٤. اتخذ عثمان المراعى رضي الله عنه فثار عليه المعارضون مدعين أنه اتخذها لنفسه وأقربائه ، فأوضح لهم أنه اتخذها لأبل المسلمين التابعة لبيت المال .
٥. أمر بتوحيد القراءات ، فحصل الناس على مصحف واحد وأحرق ما دون ذلك من مصاحف ، فعارضه البعض بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أجاز عدة قراءات للقرآن .
٦. نفيه لأبى ذر الغفارى إلى الربذة ، وإن لم يفعل عثمان رضي الله عنه ذلك ، فقد كان أبو ذر زهدا ، وكان يجمع عمال عثمان ويقرأ عليهم :

﴿ ... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

واستند عثمان رضي الله عنه على قول ابن عمر: " أن ما أدبت زكاته ليس بكنز" ، وكان أبو ذر يحملهم على الزهد والتقشف ، وكان لا يتحمل ذلك إلا بعض الناس ، فكتب عثمان إلى أبى ذر أن يأتى المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان رضي الله عنه : " أريد الربذة " ، فقال: " أفعل " ، فاعتزل ، ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته .

٧. امتناعه عن قتل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتل الهرمزان وحفيده بسبب اتهامهما بقتل أبيه عمر رضي الله عنه ، فطالب المسلمون بالقصاص منه ، فقال عثمان رضي الله عنه : " يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم " ، فدفعت دية المقتولين من ماله ، فغضب بعض المسلمين ، ورأوا أن في ذلك تعظيلا لحد من حدود الله (٢)

وهناك العديد من الأمور التي وجه فيها المعارضون اللوم على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذي أخذ يرضى معارضيه بعزل عماله على الكوفة ومصر والبصرة أكثر من مرة (٣) ، وبدلا من أن يظهر الخليفة قوة وحزما أمام عرب الأمصار ضعف واجأ إلى

(١) سورة التوبة : من الآية ٣٤ .

(٢) أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم ، ص ١١٨ .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٣ ص ٤٩ .

مفاوضتهم ووعدهم بإصلاح الأخطاء ، واعترف بأنه ن<sup>(١)</sup> ، مما جعل أغلبهم يعود إلى الأمصار ، ولكن بعد رحيلهم عن المدينة افتعل مروان بن الحكم كتابا على لسان الخليفة وختمه بخاتمته ، وبعث به إلى عامل مصر يأمره بحبس رجال ممن خرجوا من مصر وجلد المتمردين<sup>(٢)</sup>.

ورقح هذا الكتاب في يد عرب مصر ، فأسرعوا بالعودة إلى المدينة ليواجهوا الخليفة بالكتاب ، ولكنه لم يكن على علم به ، فأنكر ذلك مما أخذ صدورهم وجعلهم يحاصرون بيته ويمنعوه من حرية الرياح والغدو والصلاة بالناس<sup>(٣)</sup> ، ولما عرفوا أن الخط لمروان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار فغضبوا وحاصروه ومنعوا عنه الماء ، حتى أرسل إليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه بثلاث قرب من المياه.

وبلغ عليا عليه السلام أن عثمان رضي الله عنه يراد قتله ، فقال للحسن والحسين " اذهبوا بسيفكما حتى تقوموا على باب عثمان ، فلا تدعوا أحدا يصل إليه " ، وبعث عدد من الصحابة أبناءهم للدفاع عن الخليفة عثمان رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> ، وطلب الثوار من الخليفة أن يعتز<sup>(٥)</sup> ولكنه رفض وقال: " لا أخلع قميصا ألبسنيه الله "<sup>(٥)</sup>.

وكان محمد بن أبي حذيفة قد أرسل حوالي ستمائة رجل مسلح إلى المدينة كان من بينهم محمد بن أبي بكر الصديق ، ولما علم الثوار بأن الخليفة كتب إلى معاوية وعماله في الأمصار يستنجدهم اقتحموا بيت الخليفة وقتلوه ، وأثناء قتله كان جالسا في محرابه يقرأ القرآن ، فسال دمه على المصحف في حجره<sup>(٦)</sup> ، فقامت زوجته نائلة لتتلقى عنه الضرب بيدها ، فأصاب السيف يدها فقطع إصبعين من أصابعها ، وأرسلت إلى معاوية بقميصه المخضب بالدم وأصابها لتحريضه على الأخذ بثأر الخليفة المقتول ، فكان معاوية

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ص ٨٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ص ٨٥ ، أبو زيد شلبي: الخلفاء الراشدون ، ص ١٨٩.

(٣) البيهقي: تاريخه ، ج ٢ ص ١٧٦.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٥.

(٦) ابن طباطبائي: الفخرى ، ص ٩٨.

يعلقهما على منبر الشام ليرق الناس بذلك ودفن الخليفة عثمان رحمه الله قريبا من البقيع ، وكان ذلك سنة ٣٥هـ/٦٥٥م. (١)  
وهكذا كان للمعارضين في مصر دور بارز ومؤثر في الفتنة التي وجدت في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، حيث تمكن عبد الله بن سبأ من نشر أفكاره بين بعض الأهالي من مصر ولاقت دعوته قبولا ، حتى خرجوا واشتركوا مع الوفود المعارضة من الأمصار الإسلامية ، وانتهى الأمر بمقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ويذكر أن الذي قتله رجل من مصريقال له حمار (٢).

### دور مصر في النزاع بين علي ومعاوية بن أبي سفيان :

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بويع على بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة سنة ٣٥هـ/٦٥٥م ، ولم يكن علي رضي الله عنه يرغب في الخلافة ، فقد قدم عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يقبلها ، ولكنه كان زهدا فيها ، ويدل على ذلك قوله: " لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به " (٣) ، ولكن ألحوا عليه حتى قبلها.

بويع على بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بإجماع المسلمين ، إلا فئة قليلة كانت ترى ضرورة المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ثم الاتفاق على الخليفة ، وترأس هذا الفريق معاوية بن أبي سفيان والي الشام وابن عم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤) ، وعلى الرغم من أن عليا لم يشترط في المؤامرة التي أدت إلى مصرع الخليفة عثمان رضي الله عنه إلا أنه كان مدينا إلى حد كبير في تسليمه زمام الخلافة إلى الثوار الذين هاجموا عثمان رضي الله عنه في المدينة (٥).

(١) ابن طباطبا: الفخرى ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، سيدة كاشف: عصر الولاية ، ص ٧٥.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩١ ، ١٩٠.

(٤) عبد المنعم ماجد: تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٦٥.

(٥) سيدة كاشف: عصر الولاية ، ص ٧٦.

وبجانب ذلك أضاف علي عليه السلام إلى أعدائه أعداء جدد بسبب عزه ولاة عثمان عليه السلام من الولايات ، وأرسل ولاة جدد إلى الأقاليم ، وباع جميع أهالي الأمصار وولاياتها ، ما عدا الشام وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان .  
وترجع الخصومة بين علي ومعاوية لأسباب منها :

- أن معاوية كان يتهم عليا عليه السلام بشيء من دم عثمان عليه السلام ، ويرى نفسه ولى دم عثمان .

- أن عليا آوى قتلة عثمان عليه السلام في جيشه بدلا من أن يقيم عليهم الحد .

- أن عليا تسرع في عزه عن الشام ، وهذا أمر شديد على معاوية الذي اعتاد الحكم والرياسة زمنا طويلا <sup>(١)</sup> ، هذا بجانب أن عليا بدأ بأمرين ترجع إليهما الحرب التي وقعت في عهده وهما :

١ . أنه لم ينتظر حتى يبايعه أهل الأمصار ظنا منه أن مبايعة أهل المدينة والثوار كافية في جعل أهل الأمصار يعترفون بخلافته .

٢ . قام باسترداد الإقطاعات التي كان عثمان عليه السلام قد منحها لبعض أقاربه ، إلى بيت المال ، مما زاد حنق أولئك الذين كانوا قد استفادوا في عهد عثمان عليه السلام عليه .

لم ينته الأمر عند معارضة البعض لخلافته بل امتد إلى القتال بينه وبين خصومه في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م التي انتهت بانتصاره على معارضيه إلا أن المشاكل لم تنته بذلك حيث امتدت المعارضة وبلغت ذروتها حينما رفض معاوية أمير الشام بقوة و بإصرار الرضوخ لأمر الخليفة بعزله عن ولاية الشام ، بجانب إصراره على المطالبة بمحاكمة قتلة عثمان عليه السلام <sup>(٢)</sup> .

(١) أبو زيد شلبى: الخلفاء الراشدون ، ص ١٩٧ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ص ٢٠٣ ، عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٦٠ .

ولذا كان لا مفر من اشتباك الفريقين ليحقق كل منهما مطالبه ، وبالفعل تقاتل الفريقان في موقعة صفين سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م<sup>(١)</sup>.

وكاد النصر أن يتم لعلي عليه السلام لولا مطالبة أتباع معاوية بتحكيم كتاب الله ، حيث رفعوا المصاحف على أسنة الرماح ، وكان الذي أشار بذلك عمرو بن العاص الذي تمكن معاوية أن يستميله إليه ، وكان عمرو قد اشترط على معاوية أن تكون له ولاية مصر نظير مساعدته له ضد علي عليه السلام ، فقبل معاوية<sup>(٢)</sup>.

وكان عمرو على علم بطبيعة تكوين جيش علي ونفسيته وحاله ، حيث كان يتكون من الحفاظ وبقية السلف الصالح من المؤمنين ، فكان معه من أهل بدر سبعون رجلا ، وبمن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل ، وكل هؤلاء كانوا يتقبلون مبدأ التحكيم<sup>(٣)</sup>.

وقد اتفق الطرفان على اختيار حكم لكل فريق كما اشترطا على القائدين المتنازعين أن يقبلا نتيجة التحكيم ، ووقع اختيار أهل الشام أتباع معاوية على عمرو بن العاص ، ووقع اختيار أهل العراق على أبو موسى الأشعري ، واجتمع الحكمان بين العراق والشام في دومة الجندل سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م<sup>(٤)</sup> ، واتفق الحكمان على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى للمسلمين يختاروا ما يشاءون ، فتقدم أبا موسى الأشعري وخلع عليا ، ثم صعد عمرو وثبت معاوية ، ورضيت جماعة معاوية بقرار التحكيم ، ورفضته جماعة علي عليه السلام الذي أصبح في نظر أهل الشام والخوارج خليفة غير شرعي ، فاكتمب معاوية بهذا القرار قوة إلى قوته ، وازداد علي عليه السلام ضعف على ضعفه باستفحال أمر الخلاف داخل

(١) البيهقي: تاريخ ، ج٢ ، ص ١٨٨ ، المسعودي: التنبيه والإشراف ، ص ٢٥٦ ، السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٥ .

(٢) البيهقي: تاريخه ، ج٢ ص ١٨٨ .

(٣) البيهقي: تاريخه ، ج٢ ص ١٨٨ .

(٤) البيهقي: تاريخه ، ج٢ ص ١٩٠ .

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص ٧٨ ، البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٥ ، ابن الأثير: الكامل ، ج٣ ص ١٦٧ .

بدأ أهل الشام حركة مبايعة معاوية بالخلافة ، ولكن معاوية لم يتعجل ذلك حتى لا يظهر أمام العامة وأمام المخدوعين من أتباع علي عليه السلام بمظهر من كان يسعى إلى الخلافة ، فنذر رفض طاعة الخليفة علي عليه السلام .

عاد الحال على ما كان عليه قبل صفين وضعف مركز علي عليه السلام ، وحقق معاوية مكاسب عديدة حيث أنه كان أميراً على إحدى ولايات الدولة الإسلامية ، وعمل معاوية على إضعاف مركز علي عليه السلام بضم مصر إليه ، وإثارة الاضطرابات ضد علي عليه السلام في كل أرجاء الخلافة .

أعلن محمد بن حذيفة ولاءه لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبدأ يحارب معارضي الخليفة حيث أعلنت القبائل العربية في مصر التابعة لعثمان بن عفان عليه السلام الأخذ بالثأر من قتلته وكان زعيمها معاوية بن حديج ، ودارت معركتان بين محمد بن حذيفة ، وشيعة عثمان عليه السلام في الإسكندرية وخربتتا انهزم فيها محمد بن حذيفة<sup>(١)</sup> .

وقد شجع انتصار شيعة عثمان عليه السلام على والي مصر محمد بن حذيفة . معاوية على ضم مصر لجانبه ، فأرسل عمر بن العاص ، فقاد عمر جيشاً سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م ، ودخل مصر ووصل بالقرب من الفسطاط في منطقة عين شمس فتصدى له محمد بن حذيفة ، ودارت المفاوضات بينهما وانتهى الأمر بحصول عمر على رهائن من محمد بن حذيفة ، وكان ابن حذيفة ضمن هذه الرهائن وقتل مع الرهائن في ذي الحجة سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م<sup>(٢)</sup> .

بعد مقتل محمد بن أبي حذيفة أرسل الخليفة علي عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة والياً على مصر سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م ، إلا أن معاوية أخذ يدس له الدسائس حيث تمكن قيس من كسب ود معارضي الخليفة علي عليه السلام وأكرمهم وأحسن إليهم ، وترتب على ذلك تحول موقف المعارضين بالانصياع لأوامر قيس ، فأحس معاوية بالخطر فبدأ يكيد لقيس عند الخليفة علي عليه السلام .

(١) الكندي: ولاية مصر ، ص ٤٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ١ ص ٩٤-٩٨ .

(٢) الكندي: ولاية مصر ، ص ٤٣ .

ويذكر الكندي حديث معاوية عن كيده قيسا والقضاء عليه ، فقال : أن معاوية قال لأهل الشام: "لا تسبوا قيسا ، ولا تدعوا إلى غزوه . أي محاربتة . فإن قيسا لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته ، ألا ترين ماذا يفعل بأخوانكم بخربنا ؟! يجري عليهم أعطياتهم وأرض قهم"<sup>(١)</sup> ، فسمع بذلك عيون علي عليه السلام بالعراق والشام ، فاتهم علي قيسا ، وبعث يأمره بقتال شيعة عثمان بخربنا ، فرفض قيس ، فعزله علي وهكذا تخلص معاوية من قيس بالدهاء والمكايدة<sup>(٢)</sup>.

بعد عز قيس أرسل علي عليه السلام الأشر النخعي واليا على مصر فسار إليها حتى نزل القلزم ، وهناك لم ينج من كيد معاوية حيث دس له سما أثناء نزوله منزل أحد رجال مدينة القلزم ، فمات مسموما ودفن بها<sup>(٣)</sup>.

وفى رمضان سنة ٣٧هـ/٦٥٧م أرسل علي عليه السلام محمد بن أبي بكر واليا على مصر ، فبدأ محمد ولايته بمعادة شيعة عثمان عليه السلام ، إذ اضطهدهم وخرّب ديارهم ثم سمح لهم بالنزوح من مصر والحق بمعاوية في بلاد الشام ، مما أشعل نار الحرب بينه وبينهم ، وكان على رأسهم معاوية بن حديج ، وسانده في تلك الفترة عمرو بن العاص من قبل معاوية ، والتقى الطرفان في منطقة المسناه بالقرب من الفسطاط<sup>(٤)</sup> في شهر صفر سنة ٣٨هـ/٦٥٨م ، وانتهت المعركة بهزيمة محمد بن أبي بكر ومقتله<sup>(٥)</sup>.

وبمقتل محمد بن أبي بكر تمكن معاوية من القضاء على أتباع الخليفة علي عليه السلام بمصر ، ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر ولاية تابعة لمعاوية ، إذ ولي عليها عمرو بن العاص مكافأة له على وقوفه بجانبه في صراعه ضد الخليفة علي عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

(١) الكندي : ولاية مصر ، ص ١٩

(٢) اليعقوبي: تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، الكندي: ولاية مصر ، ص ١٦ .

(٣) الكندي: ولاية مصر ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٥) الكندي: الولاية ، ص ٥٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ٢ ص ١٠٩ .

(٦) اليعقوبي: تاريخه ، ج ٢ ص ٢٢ ، سالم: تاريخ الدولة العربية ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

وهكذا كان لمصر دور بارز في الصراع الذي نشب بين الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام والأمير معاوية بن أبي سفيان ، إذ تجلّى ذلك في موقف شيعة عثمان عليه السلام المعارضين لسياسة ولاة علي عليه السلام سوى قيس بن سعد بن عبادة ، الذي نجح في كسب ودهم ، ولكنه لم ينج من مكيدة معاوية التي انتهت بعزله.

وكانت مطالب العثمانية كشوكة في جانب ولاة علي عليه السلام ، حيث حاربوا محمد بن أبي بكر الذي أساء معاملتهم ، وكان مقتله على أيديهم ، وقد رجح هذا الموقف كفة الأمير معاوية في صراعه مع الخليفة علي عليه السلام ، إذا صارت مصر ولاية أموية.

### دور مصر في ثورة عبد الله بن الزبير :

كان لمصر دور في الثورة التي أعلنها عبد الله بن الزبير إبان خلافة يزيد ابن معاوية ، فقد ثار عبد الله في الحجاز ودعا لنفسه بالخلافة سنة ٦١١هـ / ٦٨٠م وبايعه أهل الحجاز بعد مقتل الحسين بن علي ووفاء معاوية بن أبي سفيان ، كما بايعه بعض أهالي الأمصار الإسلامية وجماعة من أهل مصر ، وأرسلوا إليه وفدا يسأله أن يبعث إليهم بأمير ، فاستجاب لهم عبد الله بن الزبير وبعث إليهم عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري لينوب عنه في حكمها سنة ٦٦٤هـ / ٦٨٣م

ونجح عبد الرحمن في استخلاص مصر من عامل الأمويين ، وحاول يزيد القضاء عليه ولكنه فشل سنة ٦٦٤هـ / ٦٨٣م ، ثم ولى الخلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة ٦٦٤هـ / ٦٨٣م ، ولم تطل مدة خلافته فقليل أنه حكم أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر<sup>(١)</sup> ، وبعد وفاته حدثت فترة اضطرابات ونزاع حول منصب الخلافة ، وفي تلك الأثناء اتسع نطاق دعوة ابن الزبير

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧.

الذي بايعه أهل الشام كلهم إلا الأردن ، كما غلب على أهل العراق واليمن وخراسان ،  
وجدد عمارة الكعبة<sup>(١)</sup>.

آلت الخلافة بعد ذلك إلى مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، الذي لم يرض بضياح  
مصر من حوزة الخلافة الأموية ، فبعث بجيش يقوده ابنه عبد العزيز بن مروان ، وعلى  
الرغم من استعداد المصريين للدفاع وصد جيش عبد العزيز بن مروان ، حيث حفر عبد  
الرحمن بن عتبة خندقا حول الفسطاط ، إلا أن الجيش الأموي تمكن من هزيمته عند عين  
شمس ، وتم الصلح بين مروان وبين المصريين وأمن مروان المصريين ، ثم دخل الفسطاط في  
جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وهكذا انتهى حكم بن الزبير في مصر بعد أن دام نحو  
تسعة أشهر ، وهى المدة التي ولى فيها عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم الفهرى لينوب عنه  
في حكمها سنة ٦٤هـ/٦٨٣م<sup>(٢)</sup>.

وأقام مروان بن الحكم بمصر شهرين وبنى الدار البيضاء لتكون مقرا له ثم غادرها  
في أول رجب سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بعد أن وطد أمورها وأعادها مرة ثانية للحكم الأموي ، وولى  
عليها ابنه عبد العزيز وزوجه بالنصائح الهامة<sup>(٣)</sup>.

وقد أسهم عبد العزيز في القضاء على حركة ابن الزبير في الحجاز فأرسل حملة بحرية  
إلى مكة لقتال ابن الزبير ، وكانت عدة هذه الحملة ثلاثة آلاف رجل ، وكان بها رجل اسمه  
عبد الرحمن بن بحيش . أحد موالى قبيلة تجيب . يقال أنه هو الذي قتل ابن الزبير فى  
جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م<sup>(٤)</sup>.

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨ ، سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ٨٤.

(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧.

(٣) الكندى: ولاة مصر ، ص ٧٠، ٦٩.

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨.

وهكذا نرى أن مصر ساهمت بدور فعال وكان لدورها أثراً لا ينكر، حيث رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج فيها لفترة يسيرة انتهت بعد تغلب مروان بن الحكم على مصر، ولكنهم عادوا إلى الظهور مرة أخرى في ولاية قرّة بن شريك على مصر سنة ٩٠-٩٦هـ / ٧٠٨-٧١٤م زمن الخليفة الوايد بن عبد الملك الذي تمكن من القضاء عليهم.

### موقف مصر من زوال الخلافة الأموية:

ثار الموالي من سياسة بنى أمية القائمة على تفضيل العرب عليهم، والتي لم تساوى بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات وفقاً للشرعية الإسلامية، هذا بجانب عوامل الانقسام داخل البيت الأموي نفسه منذ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك حيث كانت الولاية الأموية توشك أن تتداعى بعد أن نخرت في جسدها عوامل الضعف، وأسهمت حركات الخوارج في زلزلة قواعدها<sup>(١)</sup>.

انتهاز بنو العباس هذه الفرصة وأخذوا في الدعوة لأنفسهم، وظهرت دعوتهم في خراسان على يد أبي مسلم الخراساني.

وفي سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م استولى العباسيون على خراسان والعراق، وتمت مبايعة أبي العباس السفاح في الكوفة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م<sup>(٢)</sup>، ثم طارد الجيش العباسي الجيش الأموي الذي كان يقوده مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وانتهى الأمر بانتصار العباسيين في موقعة الزب الأصغر بالعراق، وفر مروان على أثر الهزائم فتوجه نحو مصر وعبر الناحية الغربية للنيل، وأمر بحرق السفن الموجودة بالنيل، وحرق جميع المدن الواقعة شرق النيل بما فيها الفسطاط حتى لا يفيد منها العباسيون الذين كانوا في أثره، كل هذه

(١) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص ١٤٣.

(٢) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص ١٥١.

الأمر لم تغد مروان من لأنه عامل أهل مصر معاملة سيئة فناصروه العدا ، وطردوا الوالي حنظلة بن صفوان ، وأظهروا عدم الطاعة لبنى أمية.

وكانت الدعوة العباسية قد لاقت القبول من أهلها ، فدخلها القائد العباسي صالح بن علي . على رأس جيش كبير وتتبع مروان ، وتمكن الجيش العباسي من العبور نحو الضفة الغربية للنيل وطاردوا مروان بن محمد ، الذي اتجه نحو الصعيد حتى وصل بلدة بوضير . مركز الوسطى بمحافظة بنى سويف . والتقى صالح بن علي ومروان بن محمد في معركة فاصلة في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م ، وانتهى الأمر بانتصار الجيش العباسي وقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين لتشهد مصر بذلك مصرع آخر لخلفاء بنى أمية ، وبذلك انتهت دولة الأمويين وقامت الدولة العباسية ، وأصبحت مصر منذ ذلك الوقت ولاية عباسية<sup>(١)</sup>.

### دور مصر في النزاع بين الأمين والمأمون :

قام النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب ولاية العهد ، فقد كان الخليفة هارون الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون ، على أن يلي الأمين العراق والشام إلى المغرب ، ويلي المأمون حكم بلاد المشرق الإسلامي أي ما يلي بغداد من ناحية الشرق بما في ذلك خراسان ، على ألا يكون للأمين سلطان عليه ، وكان ذلك سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا النزاع يمثل الصراع بين العنصرين العربي والفارسي ، وكان العنصر العربي ممثلاً في الخليفة الأمين وأمه زبيدة زوجة هارون الرشيد العربية الهاشمية ومعهم

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٥ ، ابن طباطبا: الفخرى ، ص ١٤٨ .

(٢) يعقوبي: تاريخه ، ج ٢ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٣٦ ، الطبري: تاريخه ، ج ٨ ص ٢٤٠ ، ابن كثير: البداية ، ج ٥ ص ٢٢٣ .

الوزير العربي الفضل بن الربيع ، الذي حافظ على الجند ومكن بها الأمين ، وخاف الفضل بن الربيع من المأمون ، فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى<sup>(١)</sup> ، فخلع الأمين أخيه المأمون من ولاية العهد وباع لابنه موسى ، ولقبه "الناطق بالحق" ، ولهذا قامت الحرب بين الأمين والمأمون<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بعد ذكر المأمون ، فتذكر كل لصاحبه ، وظهر الفساد ، وكان هذا أول الشر بينهما منذ سنة ١٩٥هـ/٨١٠م<sup>(٣)</sup>.  
وفى سنة ١٩٧هـ/٨١٢م حوَصر الأمين ببغداد ، ونازله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ، وظفر طاهر بالأمين فقتله ، وطاف برأسه على رمح في بغداد<sup>(٤)</sup> ، ثم حملت رأسه إلى أخيه المأمون بخراسان ، فتأثروا بكى عندما شاهد رأس أخيه ، ولكن طاهر قال له: "إنه كان يريد أن يراك مثلما تراه الآن" ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٣م<sup>(٥)</sup> ، وبذلك انتهت خلافة الأمين وآلت الخلافة لأخيه عبد الله المأمون ، ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد ، بل ظل في مرء عاصمة خراسان<sup>(٦)</sup>.

وكانت خلافة الأمين التي دامت خمس سنوات (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) عهد فوضى واضطراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، ولم تنته تلك الفوضى بنهاية النزاع بين الأمين والمأمون ، بل ظلت آثارها ممتدة عدة سنين ووجدت ثورات مختلفة في أنحاء الدولة ومنها مصر ، حيث تحزب فريق للأمين وفريق للمأمون أثناء الصراع بينهما<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن طباطبا: الفخرى في الأداب السلطانية ، ص ٢١٣.

(٢) اليعقوبى: تاريخه ، ج ٢ ص ٣٦ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ٢ ص ١٣٨.

(٣) الطبرى: تاريخه ، ج ٨ ص ٣٧٤ ، ابن كثير: البداية ، ج ٥ ص ٢٢٦ ، ابن العبرى: تاريخ الزمان ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٩.

(٤) المسعودى: مروج الذهب ، ج ٣ ص ٣٢٥ ، الذهبي: تاريخ دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٢٤.

(٥) المسعودى: مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤١٥ ، الطبرى: تاريخه ، ج ٨ ، ص ٣٧٤ ، سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام ، ص ١٤٣ ، ١٤٢.

(٦) اليعقوبى: تاريخه ، ج ٢ ص ٤٣٦ ، ابن طباطبا: الفخرى ، ص ١٦٩ ، ١٧٠.

(٧) سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ، ص ٩٧.

وقد بدأ اضطراب الجند في مصر عقب وفاة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م ، وظهر ذلك واضحا عندما علم أهل مصر بخلع الأمين لأخيه المأمون من ولاية العهد ، فتشاور فريق من الجند في مصر في خلع الأمين غضبا للمأمون ، وأول من أظهر ذلك بمصر السري بن الحكم<sup>(١)</sup> ، وهاشم بن عبد الله بن حديج ، وابنه هبيرة<sup>(٢)</sup> ، فبعثت والى مصر جابر بن الأشعث سنة ١٩٩هـ/٨١٤م لينهاهم عما عزموا القيام به ، ويحذرهم عواقب تلك الفتنة ، ولكن السري بن الحكم لم يهتم بهذه التحذيرات ، وظل يدعو الناس بخلع الأمين وشجعه على ذلك ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين<sup>(٣)</sup>.

لم يغفل المأمون أمر مصر أثناء نزعه مع أخيه الأمين ، فكتب إلى أشرف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه ، واعتمد في ذلك على عباد بن محمد بن حيان مولى كنده ، وكان وكيلا على ضياع هرثمة بمصر<sup>(٤)</sup> ، الذي جمع الجند بالمسجد الجامع ودعاهم إلى خلع الأمين ، فأجابه الكثير وذلك سنة ١٩٦هـ/٨١١م<sup>(٥)</sup> ، وطرده عامله على البلاد جابر بن الأشعث وحل محله عباد بن محمد بن مائل ، حيث كتب إلى زعيم القيسية وهو ربيعة بن قيس الحرثي بولايته على مصر<sup>(٦)</sup> .

سار ربيعة لمحاربة عباد بن محمد ونشب قتال بين الفريقين حول الفسطاط وكان قائد عباد هو عبد العزيز بن الجري ومعه قبيلة لخم وجذام الذي دعا لنفسه بولاية مصر السفلى ، وتنكر لوالى مصر عباد بن محمد ، وأخذ يجمع الخراج لنفسه من أسفل الأرض ، ولذلك عقد عباد للسري بن الحكم لمحاربة أهل الحوف سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، وحدث قتال

(١) الكندي: ولاية مصر ، ص ١٧٤ .

(٢) سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ، ص ٩٧ .

(٣) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ٩٧ .

(٤) الكندي: ولاية مصر ، ص ١٧٥ .

(٥) اليعقوبي: تاريخه ، ج ٢ ص ٤٣٩ ، الكندي: ولاية مصر ، ص ١٧٦ .

(٦) الذهبي: العيز ، ج ١ ص ٢٤٦ .

بين الفريقين ولم ينته إلا بورود الخبر بمقتل الأمين في المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٣م<sup>(١)</sup>، ثم عزن المأمون عباد بن محمد، وعين على مصر الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي، فكانت ولاية ابن عباد سنة وسبعة أشهر<sup>(٢)</sup>.

فى تلك الأثناء انفرد عبد العزيز الجريى بالحواف، وأعلن السري بن الحكم أنه وال على مصر بانتخاب الجند له سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، بل أخرج الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي من مصر وطرده، فكانت ولايته على مصر سبعة أشهر ونصف<sup>(٣)</sup>، واستولى الجريى على شرق الدلتا، واستولى السري بن الحكم على الصعيد بجانب الفسطاط، وانفردت قبيلتا لخم وجذام بحكم غرب الدلتا<sup>(٤)</sup>.

وفى تلك الفترة كانت مراكب أهل الريض المطريدين من الأندلس قد رست عند الإسكندرية، وتمكنت من السيطرة عليها وتأسيس جمهورية شبه مستقلة لهم بها<sup>(٥)</sup> وإزاء هذه الفوضى فى مصر اضطر المأمون إلى الخضوع للأمر الواقع، فولى السري بن الحكم على مصر سنة ٢٠١هـ/٨١٦م، وأرسل إلى السري يأمره بأخذ البيعة بالخلافة من بعده لأحد العلويين وهو علي الرضا بن موسى، وكان الذي زين له فعل ذلك هو وزيره الفضل بن سهل لأنه فارسي الأصل، وفى نفس الوقت يريد أن يسيطر على العلويين كما يسيطر على العباسيين<sup>(٦)</sup>.

(١) الكندي: ولاية مصر، ص ١٥٠، عصام عبد الرؤوف الفتى: الدولة العباسية، ص ٩٥.

(٢) الكندي: ولاية مصر، ص ١٧٧.

(٣) الكندي: ولاية مصر، ص ١٧٩.

(٤) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢ ص ١٥٧، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ١٢٦.

(٥) الكندي: ولاية مصر، ص ١٥٧، المقرئى: الخطط، ج ١ ص ١٧٢، الثيال: تاريخ الإسكندرية ص ٣٧.

(٦) الطبري: تاريخه، ج ٨ ص ٥٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥ ص ١٨٢.

وحدث الانقسام بين العرب في مصر، فمنهم من وافق على البيعة لعلي الرضا ومنهم من عارض ذلك، وكان من المعارضين عبد العزيز الجري، وانتهت هذه الفتنة بموت علي الرضا سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م<sup>(١)</sup>

وبلغ الجري ما فعله الأندلسيون بالإسكندرية، فسار إليها وحاصرها وكاد أن يخرج الأندلسيون منها، ولكن أطماع السري بن الحكم في السلطنة حالت دون تحقيق ذلك، حيث خشى من ازدياد نفوذ الجري، فهدده في عقرب داره، مما جعل الجري يترك حصار الإسكندرية بما فيها من أندلسيين، ومن ثم تطورت المنافسة بين الجري والسري إلى نزاع علني<sup>(٢)</sup>، وحاصر الجري الإسكندرية أكثر من مرة إلى أن مات أثناء الحصار سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وبوفاته انتهت حركته، وتوفى السري بن الحكم هو الآخر في نفس العام<sup>(٣)</sup>.

بويح بولاية مصر بعد وفاة السري بن الحكم ابنه أبو النصر بن السري، ولم تنته المنازعات التي قامت حول الاستئثار بالسلطة في مصر إذ ورث أبناء السري والجري نزاع والديهما، واقتتل الطرفان فترة ثم اصطلحا، وتوفى أبو النصر سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م<sup>(٤)</sup>، وتولى بعده عبد الله بن السري الذي نشب القتال بينه وبين علي بن الجري<sup>(٥)</sup>.

وإزاء هذه الفوضى في مصر صمم الخليفة المأمون على وضع حدا لهذه الاضطرابات الداخلية، فسير إليها جيشا تحت قيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين فانضم إليه علي بن الجري، وأرسل طاهر لأبي عبيد الله بن السري يدعوهم إلى الطاعة، ولكن عبيدا أخذ يستعد لحربه، واشتبك الفريقان ووقعت الحرب بينهما فانهزم عبد الله وقتل معظم

(١) البيعقوبي: تاريخه، ج ٢ ص ٤٥٣.

(٢) الكندي: ولاية مصر، ص ١٦٥، المقرئزي: الخطط، ج ٢ ص ١٧٢.

(٣) الكندي: ولاية مصر، ص ١٩٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ١٩٧.

(٤) الكندي: ولاية مصر، ص ١٩٧، سالم: تاريخ الإسكندرية ص ١٤٢.

(٥) الكندي: ولاية مصر، ص ١٩٩، ٢٠٠.

أصحابه حتى أشرف على الهلاك ، فطلب الأمان ، فكتب طاهر إلى الخليفة المأمون كتابا يسأله فيه الأمان لعبيد الله بن السري ، فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وكتب لعبيد الله بن السري كتاب الأمان وأمره بالخروج إلى المأمون<sup>(١)</sup>.

وهكذا تولى عبيد الله بن طاهر مصر في ربيع الأول سنة ٢١١هـ/٨٢٦م وأخضع عبيد الله بن السري ، ثم فرغ بعد ذلك لأمر الإسكندرية فسار إليها وحاصرها ، فطلب الأندلسيون بها الأمان ، وصالحهم على أن ينقلهم من الإسكندرية حيث رغبوا ، فخرجوا إلى جزيرة اقريطش . كريت . وملكوها وعين على الإسكندرية إلياس بن سامان ، وعاد ثانية إلى القسطنطينية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م<sup>(٢)</sup>.

هكذا يتبين لنا أن مصر عادت ولاية خاضعة للخلافة العباسية بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر بعد أن عمت الفوضى شتى نواحيها ، وكادت أن تخرج من حكم الخليفة وتستقل بأمورها ، حيث انتهز بعض الطامعين في السلطان فرصة النزاع الذي نشب بين الأمين وأخيه المأمون للاستئثار بالسلطة في كثير من الأحيان ، وساعدهم على ذلك الاضطرابات التي ألت بالخلافة العباسية أوائل خلافة المأمون<sup>(٣)</sup>.

### دور مصر في محنة القول مجلق القرآن :

أخذ فريق من علماء المسلمين يتعمق في بحث المسائل الدينية على غرار ما كان يفعله رجال الدين والفلاسفة القدماء ، واستطاع المسلمون أن يكونوا لأنفسهم فلسفة تتماشى مع أصول الدين الإسلامي وأحوال المسلمين الاجتماعية ، ولا يعنينا هنا أن نبحث في آراء المعتزلة الدينية ، وإنما يهمنا أن الدولة العباسية اتخذت الاعتزّل في وقت ما مذهباً

(١) الطبري: تاريخه ، ج ٨ ، ص ٦١٠ ، الكندي: ولاية مصر ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، سيدة كاشف: عصر الولاية ، ص ١٠٢ .  
(٢) الطبري: تاريخه ، ج ٨ ، ص ٦١٣ ، الكندي: ولاية مصر ، ص ١٨٢ ، ١٨٤ ، المقرئزي: الخطط ، ج ١ ص ١٧٣ ، ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص ٢٦ .  
(٣) سيدة كاشف: عصر الولاية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية ، ص ٩٩ ، ٩٨ .

رسميا لها ، وحملت جميع رعاياها على اعتناقه مستخدمة في ذلك جميع وسائل القوة والعنف<sup>(١)</sup> ، وكانت مصر ممن حمل على اتخاذ هذا المذهب ، وكانت مسألة خلق القرآن من المسائل التي تركز فيها الاعتزال خلال الفترة ما بين سنتي (٢١٨-٢٣٤هـ/٨٣٣-٨٤٨م) على الرغم من ظهور هذه المسألة خلال عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) وأخذت هذه المناقشات طابع الهدوء خلال فترات الهادي ، وهارون الرشيد.

وفى سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إليه تفضيل على بن أبي طالب عليه السلام على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتن ، ولم يتحقق له من ذلك ما أراد ، فكف عن ذلك حتى كانت سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م ، فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن الكريم ، وكتب إلى نائبه على بغداد اسحق بن إبراهيم الخزعي أن يمتحن الناس بالعراق ، وأن يعاقب من لا يقرر بخلق القرآن ، واهتمت جميع الأوساط بهذه المشكلة حتى امتدت إلى العامة<sup>(٢)</sup>.

وكان المأمون قد اعتنق قول المعتزلة في أن القرآن الكريم مخلوق وبدأ يجبر ويضغط على أمراء وعلماء الخلافة بالقول بخلق القرآن ، واستعمل العنف مع الفقهاء والأئمة وغيرهم في إحياء رأيه والسير عليه ، وامتد النزاع في اختبار شخصيات المسلمين الكبرى ، ومنهم بشر بن الوليد الذي اختبره إسحاق والى بغداد وقال له: "ما تقول في خلق القرآن؟" ، قال بشر: "القرآن كلام الله" ، فقال له إسحاق: "لم أسألك عن هذا ، مخلوق هو؟" ، قال بشر: "ما أحسن غير ما قلت لك" ، ثم سأل أحمد ابن حنبل: "ما تقول" ، قال: "كلام الله" ، قال: "أمخلوق هو؟" ، قال: "هو كلام الله لا أزيد علي هذه" ، ومن هنا نرى أن الفقهاء تمارضوا وتوارى ولم يجيبوا ولم ينكروا<sup>(٣)</sup>.

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص ١٠٤.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧١.

(٣) اليعقوبي: تاريخه ، ج ٢ ص ٤٧٢ ، السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٢.

توفي المأمون وواصل المسيرة الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ / ٨٣٣-٨٤١ م)، ثم الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤١-٨٤٦ م)، وعذب هؤلاء الخلفاء من لا يعترف بخلق القرآن، وبقدر ما كان الخلفاء يتشددون في تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها، وامتدت المحنة بالاختبار إلى معظم الولايات الإسلامية، وأصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمه<sup>(١)</sup>.

ويهمنا هنا أمر مصر وموقفها في هذه المحنة الأليمة، ففي ولاية كيدر بن نصر على مصر (٢١٧-٢١٩ هـ / ٨٣٢-٨٣٤ م)<sup>(٢)</sup> طلب منه المعتصم أن يمتحن الناس أجمعين، وخاصة الفقهاء والعلماء ورجال الدين والقضاة وغيرهم، ومن لا يعترف بخلق القرآن يعزل من وظيفته، والظاهر أنه لم تقم في مصر أول الأمر معارضة شديدة للقول بخلق القرآن، حيث وافق كثير من العلماء والفقهاء والقضاة في مصر على مسألة خلق القرآن، ولم يعترض إلا القليل من المصريين، ولم تتعرض مصر لما تعرض له العراق من قتل وتعذيب واضطهاد بسبب هذه المحنة وكان ذلك في خلافة المعتصم.

أما في خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤١-٨٤٦ م) فقد ورد منه كتاب إلى قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان المصريين المسلمين جميعا في هذه المسألة، وعندئذ عارض كثير من المصريين المحنة وثأروا ضدها، فملئت السجون بهم، وهرب الكثيرون<sup>(٣)</sup>. وأمر قاضي مصر محمد بن أبي الليث أن يكتب على المساجد (لا اله إلا الله رب القرآن المخلوق)، وكان ممن هرب بسبب هذه المحنة أحد علماء مصر في تلك الفترة وهو نون بن إبراهيم الأحميمي، ولكن القاضي محمد بن أبي الليث قبض عليه فأقر بخلق

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة، ص ١٠٥.

(٢) الكندي: الولاة، ص ٢١٧.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٢، سيدة كاشف: عصر الولاة، ص ١٠٦.

القرآن<sup>(١)</sup>، وامتنع عن القول بخلق القرآن أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري صاحب الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup>، حيث حمل إلى بغداد وظل متمسكا برأيه، حتى توفي وهو في سجنه سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م.

ولما تولى الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) وجد أن هذه المحنة قد طال أمدها، فأرسل كتابا إلي جميع الأقاليم سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م يأمر ولاته بترك الجدل في القرآن الكريم، وأبطل هذه المحنة وعم الفرحة كافة بلاد المسلمين، وعلا شأن الخليفة المتوكل واعتبره المسلمون أعظم خلفاء المسلمين لأنه حقن الدماء، وأنقذ المسلمين من الاضطهاد والتعذيب، وأعاد الأمن والطمأنينة إلى قلوب الناس، حتى قيل الخلفاء ثلاثة أبو بكر يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز يوم رد المظالم لبني أمية، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التهجم.

(١) الكندي: الولاية والقضاة، ص ٤٥٣.

(٢) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٢٧٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠١.